آفاق الثقافة والتراث

مجلة فصلية ثقافية تراثية

تصدر عن دائرة البحث العلمي والدراسات بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث

السنة الثامنة : العددان التاسع والعشرون والثلاثون - ربيع الأول ١٤٢١ هـ - تموز (يوليو) ٢٠٠٠ م

■ مصحف شريف كُتِب في منتصف القرن الثالث عشر الهجري

A copy of the Holy Quran written in the middle of the 13th century A.H.

ما ظهر لفظه وخفي معناه من كتاب الله

الحلقـة الثانيـة

الدكتور/ طه ياسين ناصر الخطيب
مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث
دبي - الإمارات العربية المتحدة

سورة النساء

٢ - ﴿**وآتوا اليتامى أموالهم**﴾ : ظاهر الآية الأمر بدفع المال لليتيم ، ولا يجوز في حكم الشرع أن يُدفع المال له ما دام متصفًا بهذه الصفة ؛ إذ اليتم خاص بمن لم يبلغ ، وهو حينئذٍ غير صالح للتصرّف في ماله ، فتعيَّن تأويل لفظ الإيتاء أو بتأويل اليتيم.

فنقول : المراد بآتوا : احفظوا أموالهم حتى تعطى إليهم سالمة إذا بلغوا ، أو يؤول لفظ اليتامى بالذين جاوزوا حدّ اليتم ، ويبقى الإيتاء بمعنى الدفع ، ويكون التعبير عنهم باليتامى للإشارة إلى وجوب دفع أموالهم إليهم فور خروجهم من حدّ اليتم(١).

٥ - ﴿**ولا تؤتوا السفهاءَ أموالَكُم التي جعلَ اللهُ لكمْ قِيامًا**﴾ معنى ﴿**قيامًا**﴾: تقوم بها معايشكم(٢).

٩ - ﴿**وَلْيَخْشَ الذينَ لو تركوا مِنْ خلفهمْ ذريةً ضِعافًا خافوا عليهم فليتقوا اللهَ وليقولوا قولاً سديدًا**﴾: «قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: هذا في الرجل يحضره الموت، فيسمعه رجل يوصي بوصية تضر بورثته، فأمر الله تعالى الذي يسمعه أن يتقي الله ويوفقه ويسدده للصواب، فينظر لورثته، كما كان يحب أن يُصنع بورثته إذا خشي عليهم الضيعة، وهكذا قال مجاهد وغير واحد.

وقيل: فليتقوا الله في مباشرة أموال اليتامى ﴿**ولا تأكلوها إسرافًا وبِدارًا أنْ يكبَروا**﴾... وهو قولٌ حسن يتأيّد بما بعده من التهديد في أكل أموال اليتامى ظلمًا؛ أي: كما تحب أن تعامَل ذريتك من بعدك، فعامل الناس في ذراريهم إذا وليتهم(٣).

ومعنى ﴿**لو تركوا**﴾: شارفوا أن يتركوا(٤).

١١ - ﴿**فإن كان له إخوةٌ فلأمّه السُّدس**﴾: المراد بـ ﴿إِخْوة﴾ اثنان فصاعدًا(٥).

- ﴿**مِنْ بعدِ وَصيةٍ يوصِي بها أَوْ دَيْن**﴾: «أجمع العلماء من السلف والخلف على أنّ الدَّين مُقَدَّمٌ على الوصية»(٦).

١٢ - ﴿**وإنْ كانَ رجلٌ يُوْرَثُ كلالةً أو امرأةٌ وله أخٌ أوْ أخت**﴾: المراد بقوله تعالى: ﴿أَخٌ أو أُخت﴾ لأم فقط دون الشقيق، ودون الأخ والأخت لأب(٧).

١٤ - ﴿**ومَنْ يَعصِ اللهَ ورسولَه ويتعَدَّ حدودَهُ يُدْخِلْهُ نارًا خالدًا فيها وله عذابٌ مُهين**﴾: ظاهر هذه الآية الكريمة أنّ كلّ من عصى الله تعالى ورسوله

ﷺ فسيخلد في النار، وإذا فهمناها في ضوء سياق ما قبلها فيكون المعنى: كل من عصى... في قسمة المواريث، وقد بَيَّن الطبري رحمه الله تعالى أنّ هذا المعنى صحيح، ولكن إذا جمع العاصي إلى معصيتهما - أي معصية الله تعالى ورسوله ﷺ شكًّا في أنّ الله فرض عليه ما فرض على عباده في الآيتين السابقتين، أو علم ذلك فحادَّ الله ورسوله ﷺ في أمرهما[٨].

١٧ - ﴿**إنَّما التوبةُ على اللهِ للذينَ يعملونَ السُّوءَ بجهالةٍ ثُمَّ يتوبونَ مِنْ قَريب...**﴾: كل من عصى الله تعالى خطأً كان أو عمدًا فهو جاهل...[٩].

وقد أخرج الإمام الطبري رحمه الله تعالى بسنده عن قتادة أنه قال: «اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أنّ كلَّ شيءٍ عُصِي به فهو (جهالة) عمدًا كان أو غيره»[١٠].

ومعنى ﴿**مِنْ قَريب**﴾: من قبل نزول الموت بهم، وقبل الغرغرة[١١].

١٩ - ﴿**يا أيُّها الذينَ آمنوا لا يَحِلُّ لكم أنْ تَرِثوا النساءَ كَرْهًا...**﴾: المراد بـ ﴿**ترثوا النساء**﴾: ذاتهن، والمعنى: «لا يحلّ لكم أن تأخذوهن على سبيل الإرث كاتخاذ المواريث وهنَّ كارهاتٍ لذلك أو مكرهات»[١٢].

٢٥ - ﴿**ومَنْ لَمْ يستطعْ منكم طَولاً أن ينكحَ المحصناتِ المؤمنات فمن ما ملكتْ أيمانكم مِنْ فَتياتِكم المؤمنات...**﴾: معنى ﴿**فتياتكم**﴾: إمَاؤكم[١٣]. والمراد هنا الأمة المملوكة للغير، أمّا أمة الإنسان نفسه فقد وقع الإجماع على أنه لا يجوز له أن يتزوجها، وهي تحت ملكه؛ لتعارض الحقوق واختلافها[١٤].

- ﴿**فانكحوهُنَّ بإذْنِ أهْلِهِن**﴾: أي: سادتهن[١٥].

٢٩ - ﴿**يا أيُّها الذينَ آمنوا لا تأكلوا أمْوالَكُم بينكم بالباطل**﴾: أي: لا يأكل بعضكم أموال بعض بما حرّم الله عليه...[١٦].

- ﴿**ولا تقتلوا أنفسَكم**﴾: أي: «ولا يقتل بعضكم بعضًا، وأنتم أهل ملّة واحدة، ودعوة واحدة، ودينٍ واحد، فجعل جلّ ثناؤه أهل الإسلام كلهم بعضهم من بعض، وجعل القاتل منهم قتيلاً في قتله إيّاه منهم بمنزلة قتله نفسه: إذ كان القاتل والمقتول أهل يدٍ واحدة على من خالف ملتهما»[١٧].

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: «﴿**ولا تقتلوا أنفسكم**﴾ أي: بارتكاب محارم الله، وتعاطي معاصيه، وأكل أموالكم بالباطل»[١٨].

وقال ابن عاشور رحمه الله تعالى: «نهى عن أن يقتل الرجل غيره... إذ قد علم أنّ أحدًا لا يقتل نفسه فيُنهى عن ذلك، وقتل الرجل نفسه داخلٌ في النهي؛ لأن الله لم يبح للإنسان إتلاف نفسه كما أباح له صرف ماله، أمّا أن يكون المراد هنا خصوص النهي عن قتل المرء نفسه، فلا»[١٩].

٣٣ - ﴿**ولكلٍّ جَعَلْنا مَوالِيَ مِمَّا ترك الوالدانِ والأقربون**﴾: ﴿**موالي**﴾ أي: «ورثة من بني عمه وإخوته وسائر عصبته»[٢٠].

٤٦ - ﴿... **ويقولون سَمِعنا وعصينا واسمعْ غَيرَ مُسْمَع**﴾: أي: واسمع منا ما نقول لا أسمعك الله[٢١].

٤٧ - ﴿... **أوْ نلعنهم كما لَعنَّا أصحاب السبت**﴾: المراد بـ ﴿**نلعنهم**﴾: أي: نمسخهم قردة[٢٢].

٤٨ - ﴿**إنَّ اللهَ لا يغفِرُ أنْ يُشركَ به**﴾: يعني: أنّ الله تعالى لا يغفر لعبدٍ مات وهو مشركٌ به[٢٣].

٥١ - ﴿**ألَمْ تَرَ إلى الذين أُوتوا نصيبًا من الكتابِ يؤمنونَ بالجبتِ والطاغوتِ ويقولونَ للذينَ كفروا هؤلاءِ أهدى منَ الذينَ آمنوا سبيلا**﴾.

- ﴿**ويقولونَ للذين كفروا**﴾: أي: لأجلهم وفي حقهم، فاللام ليست صلة القول، وإلاّ لقيل: أنتم بدل قوله سبحانه ﴿**هؤلاء**﴾؛ أي: الكفّار من أهل مكّة[٢٤].

٥٤ - ﴿أمْ يحسدونَ الناسَ على ما آتاهُم اللهُ مِنْ فَضْلِه﴾: في المراد بـ ﴿الناس﴾ هنا قولان:

الأول: محمد ﷺ.

الآخر: العرب.

ولا مانع من إرادة القولين ويكون المعنى: أم يحسدون محمدًا ﷺ وأصحابه على أن فضّل محمدًا ﷺ بالنبوة، وشرّف بها العرب، إذ آتاها رجلاً منهم دون غيرهم(٢٥).

٥٩ - ﴿فإنْ تنازعتُمْ في شيءٍ فردّوهُ إلى اللهِ والرسولِ إنْ كنتمْ تُؤمنونَ باللهِ واليومِ الآخرِ ذلكَ خيرٌ وأحسنُ تأويلا﴾: ﴿تأويلا﴾ يعني: عاقبة ومآلاً(٢٦).

٦٣ - ﴿أُولئكَ الذينَ يعلمُ اللهُ ما في قلوبهم فأعرضْ عنهمْ وعِظْهُم...﴾: حقيقة الإعراض: عدم الالتفات إلى الشيء بقصد التباعد عنه(٢٧)، والمراد به هنا: دعهم ولا تعاقبهم(٢٨).

٧٢ - ﴿وإنَ منكمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئنَّ فإنْ أصابتْكُم مصيبةٌ قالَ قَدْ أنعمَ اللهُ عليَّ إذْ لمْ أَكُنْ معهمْ شهيدًا﴾: ﴿منكم﴾ ليست على ظاهرها، أي: من المؤمنين، إنما المراد «من عدادكم وقومكم، ومن يتشبه بكم، ويظهر أنه من أهل دعوتكم وملتكم وهو منافق...

قال مجاهد وغيره: نزلت في المنافقين(٢٩).

ومعنى ﴿شهيدًا﴾: حاضرًا(٣٠).

٧٧ - ﴿ألمْ تَرَ إلى الذينَ قيلَ لهمْ كُفُّوا أيْديَكُمْ وأقيموا الصلاةَ وآتُوا الزكاةَ﴾: «المراد بـ ﴿آتوا الزكاة﴾ مواساة الفقراء لا الزكاة المفروضة ذات النصب والشروط؛ فإنّها لم تفرض إلاّ بالمدينة»(٣١).

٧٨ - ﴿وإنْ تُصِبْهُمْ حسنةٌ يقولوا هذهِ مِنْ عندِ اللهِ وإنْ تُصِبْهُم سيئةٌ يقولوا هذهِ مِنْ عندك﴾: ﴿الحسنة﴾: الرخاء والظفر والفتح والغنيمة. و﴿السيئة﴾: الشدّة في العيش والهزيمة(٣٢).

١٠٢ - ﴿فإذا سجدوا فليكونوا من ورائكم﴾: ﴿سجدوا﴾ يعني: أكملوا صلاتهم، وعبّر عن الصلاة بالسجود؛ ليدلّ على فضل السجود، وأنه ركنٌ من أركانها، بل هو أعظمُ أركانها(٣٣).

١٠٥ - ﴿ولا تكن للخائنين خَصِيمًا﴾: أي: لا تكن لأجل الخائنين مخاصمًا(٣٤).

١٠٨ - ﴿يَسْتخْفُونَ مِنَ الناسِ ولا يستخفُونَ منَ اللهِ﴾: الاستخفاء من الله تعالى محال؛ لأنّ الله تعالى يعلم الجهر وما يخفى، والمراد: الحياء(٣٥)؛ أي: ولا يستحيون من الله تعالى.

١١٧ - ﴿إنْ يدعونَ مِنْ دونه إلاّ إناثًا﴾: «عنى بالإناث: الآلهة التي كان مشركو العرب يعبدونها من دون الله، ويسمونها الإناثَ من الأسماء، كاللات والعُزَّى ونائلة ومناة، وما أشبه ذلك»(٣٦).

١٣٧ - ﴿إنَّ الذينَ آمنوا ثمَّ كفروا ثمَّ ازدادوا كفرًا لم يكنِ اللهُ ليغفرَ لهمْ ولا لِيَهْدِيَهُمْ سبيلا﴾: المراد بهذا الذي استمرّ على كفره حتى مات(٣٧).

١٤٠ - ﴿وقد نَزَّلَ عليكمْ في الكتابِ أنْ إذا سَمِعْتُمْ آياتِ اللهِ يُكْفَرُ بها ويُسْتهْزأُ بها فلا تَقعدوا معهم حتى يَخوضوا في حديثٍ غيرِهِ إنكم إذًا مِثلهم﴾: «هذه المماثلة لهم خارجة مخرج التغليظ والتهديد والتخويف، ولا يصير المؤمن منافقًا بجلوسه إلى المنافقين، وأُريد المماثلة في المعصية لا في مقدارها؛ أي: إنكم تصيرون مثلهم في التلبّس بالمعاصي»(٣٨).

١٥٣ - ﴿يَسْأَلُكَ أهلُ الكتابِ أنْ تُنَزِّلَ عليهمْ كتابًا مِنَ السماء﴾: الرسول ﷺ قد نُزِّلَ عليه كتابٌ من السماء، ولكنه نَزَلَ مُفرّقًا، وهم أرادوا - تعنّتًا وعنادًا - أن ينزل عليه ﷺ جملةً واحدة(٣٩).

١٥٧ - ﴿وقولهم إنَّا قَتلْنا المسيحَ ابنَ مريمَ رسولَ الله﴾: قال الزمخشري رحمه الله تعالى: «كانوا كافرين بعيسى عليه السلام، أعداء له، عامدين

لقتله، يسمونه الساحر ابن الساحرة، والفاعل ابن الفاعلة، فكيف قالوا: ﴿**إنَّا قتلنا المسيحَ عيسى ابنَ مريمَ رسولَ الله**﴾؟ قلت: ما قالوه على وجه الاستهزاء... ويجوز أن يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح»[٤٠].

١٧٦ - ﴿**إنِ امْرُؤٌ هلكَ ليسَ لهُ ولدٌ ولهُ أختٌ**﴾: أخت شقيقة وأخت لأبٍ فقط[٤١].

- ﴿**يُبَيِّنُ اللهُ لكمْ أنْ تَضِلُّوا**﴾: أي: لئلاّ تَضِلُّوا[٤٢].

سورة المائدة

٣ - ﴿**حُرِّمَتْ عليكمُ الميتةُ والدَّمُ... وما أكلَ السَّبُعُ**﴾: «المرادُ: وما أكل منه السبع؛ إذ ما أكله السبع عدم وتعذّر أكله، فلا يحسن تحريمه»[٤٣].

- ﴿**اليومَ أكملتُ لكمْ دينكم وأتممْتُ عليكمْ نعمتي ورَضيتُ لكمُ الإسلامَ دينًا**﴾: قوله تعالى: ﴿**ورضيتُ لكمُ الإسلامَ دينًا**﴾ جملة مستأنفة لا معطوفة على ﴿أكملت﴾، وإلاّ كان مفهوم ذلك أنه لم يرضَ لهم الإسلام دينًا قبل ذلك اليوم، وليس كذلك[٤٤].

أو يكون المعنى: أخبرتكم برضاي به لكم، فإنه سبحانه لم يزل راضيًا لأمة نبيّه ﷺ بالإسلام، فلا يكون لاختصاص الرضا بهذا اليوم كثير فائدة إن حملناه على ظاهره.

ويحتمل أن يريد رضيت لكم الإسلام الذي أنتم عليه اليوم دينًا باقيًا إلى انقضاء أيام الدنيا[٤٥].

٤ - ﴿**قُلْ أُحِلَّ لكمُ الطيّباتُ وما علَّمتم من الجَوارحِ**﴾: أي: وأحلّ لكم صيد ما علّمتم من الجوارح[٤٦].

- ﴿**فكلوا مِمّا أمسكنَ عليكم واذكروا اسمَ اللهِ عليه**﴾: أي: اذكروا اسم الله عليه عند إرسالها[٤٧].

أو سمّوا عليه إذا أردتم ذكاة الصيد[٤٨].

١٨ - ﴿**وقالتِ اليهودُ والنصارى نحنُ أبناءُ اللهِ وأحِباؤُه**﴾: أي: نحن منتسبون إلى أنبيائه وهم بنوه...[٤٩].

٢٠ - ﴿**وآتاكم ما لم يُؤْتِ أحدًا مِنَ العالمين**﴾: «يعني: عالِمِي زمانهم، فإنهم كانوا أشرف الناس في زمانهم من اليونان والقِبْط وسائر أصناف بني آدم»[٥٠].

٣١ - ﴿**فبعثَ اللهُ غُرابًا يَبْحَثُ في الأرض ليُريَهُ كيف يُواري سوءة أخيه**﴾: معنى ﴿يبحث﴾: يحفر[٥١].

و﴿سَوْءَةَ أخِيه﴾: أي: بدنه؛ لأنه ميّت[٥٢].

٤١ - ﴿**... يُحَرِّفونَ الكَلِمَ من بعد مَواضِعِهِ يقولونَ إنْ أُوتيتُمْ هذا فخُذوهُ وإنْ لمْ تُؤْتَوْهُ فاحْذَرُوا**﴾: لفظ ﴿هذا﴾ ظاهر، غير أنّ معناه لا يُدركُ إلاّ بمعرفة سبب نزول هذه الآية الكريمة، وسبب نزولها هو ما أخرجه الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه بِسَنده عن البراء بن عازب قال: «مُرّ على النبي ﷺ بيهوديّ محمَّمًا[٥٣] مجلودًا، فدعاهم ﷺ فقال: (هكذا تجدون حدّ الزاني في كتابكم)، قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم. فقال: (أَنشدك باللهِ الذي أنزلَ التوراةَ على موسى، أهكذا تجدونَ حدَّ الزاني في كتابكم؟) قال: لا. ولولا أنّكَ نَشَدْتني بهذا لم أُخبركَ، نجدهُ الرجمَ. ولكنه كَثُرَ في أشرافِنا فكنّا، إذا أخذنا الشريفَ تركناه، وإذا أخذنا الضعيفَ أَقمنا عليه الحدَّ. قلنا: تعالوا، فَلْنَجْتَمع على شيءٍ نقيمُه على الشريفِ والوضيعِ، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم. فقال رسول الله ﷺ: (اللهمَّ إني أَوَّلُ مَنْ أَحيا أَمْرَكَ إذْ أماتُوهُ)، فأَمَرَ به فَرُجم. فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿**يا أيُّها الرسولُ لا يَحْزُنكَ الذينَ يُسارعونَ في الكفر**﴾[إلى قوله] ﴿**إنْ أُوتيتمْ هذا فخذوه**﴾ يقول: ائتوا محمدًا ﷺ فإنْ أمركم بالتحميم والجلد فخذوه. وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا...»[٥٤].

٤٧ - ﴿**ولْيَحكُمْ أهلُ الإنجيلِ بما أنزلَ اللهُ**

فيه﴾: يستشهد بعض النصارى بهذه الآية على أنّ الله تعالى أمرهم بأن يَحكموا بما أنزل الله تعالى في الإنجيل، ولكن الحقيقة أنّ هذه الآية حجّةٌ عليهم لا لَهم؛ لأنّ (ما) في قوله تعالى ﴿**بما أنزل الله فيه**﴾ من ألفاظ العموم، وإذًا فالمرادُ: وليحكم أهلُ الإنجيلِ بكلِّ ما أنزلَ الله فيه، ومِمَّا في الإنجيل البشارة ببعثة محمد ﷺ، والأمر باتباعه وتصديقه(٥٥).

وقد بَيَّنَ الشوكاني رحمه الله تعالى أنّ هذا قبل البعثة المحمدية، وأمّا بعدها فقد أُمروا في غير موضع أنْ يعملوا بما أنزل الله على محمد ﷺ في القرآن الناسخ لكلِّ الكتب المنزلة(٥٦).

٥٥ - ﴿**إنّما وَليُّكُمُ اللهُ ورسولُهُ والذينَ آمنوا الذينَ يُقيمونَ الصلاةَ ويُؤتُونَ الزكاةَ وهمْ راكعون**﴾: قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «وأمّا قوله ﴿**وهم راكعون**﴾ فقد توهّم بعض الناس أنّ هذه الجملة في موضع الحال من قوله ﴿**ويؤتون الزكاة**﴾؛ أي: في حال ركوعهم، ولو كان هذا كذلك لكان دفع الزكاة في حال الركوع أفضل من غيره؛ لأنه ممدوحٌ، وليس الأمر كذلك عند أحد من العلماء ممن نعلمه من أئمة الفتوى...»(٥٧)، أمّا المعنى المراد فهو: خاشعونَ خاضعون(٥٨).

٦٧ - ﴿**يا أيُّها الرسولُ بلِّغْ ما أُنْزِلَ إليكَ من ربكَ وإنْ لَمْ تَفْعَلْ فما بلّغتَ رسالته**﴾: يقول بعض الملاحدة: إنّ هذا كلام غير مفيد، وهو كقولك لغلامك: كل هذا الطعام فإنْ لم تأكله فإنك ما أكلته.

والجواب: إنّ هذا أمرٌ بتبليغ الرسالة في المستقبل؛ أي: بلغ ما أنزلَ إليك من ربك في المستقبل، فإن لم تفعل ذلك فكأنك لم تبلّغ الرسالة أصلاً(٥٩).

أو يُقال: إنّ (ما) في قوله تعالى ﴿**بلِّغ ما أُنزل**﴾ للعموم، والمعنى: بلِّغ جميع ما أُنزلَ إليك من ربك فإن كتمت شيئًا، فما أدّيتَ شيئًا من رسالته...(٦٠).

٦٩ - ﴿**إنَّ الذينَ آمنوا والذينَ هادوا والصابئون والنصارى من آمنَ باللهِ واليومِ الآخرِ وعملَ صالحًا فلا خوفٌ عليهمْ ولا هُمْ يَحْزَنون**﴾: قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «كلّ فرقةٍ آمنت بالله واليوم الآخر، وهو الميعاد والجزاء يومَ الدين، وعملت عملاً صالحًا، ولا يكون ذلك حتى يكون موافقًا للشريعة المحمدية بعد إرسال صاحبها المبعوث إلى جميع الثقلين...»(٦١).

٩٥ - ﴿**ومَن قتلهُ متعمّدًا فجزاءٌ مِثلُ ما قتلَ منَ النَّعَمِ يحكمُ بهِ ذَوا عَدْلٍ منكمْ هَدْيًا بالغَ الكعبة**﴾: «أي: واصلاً إلى الكعبة، والمراد: وصوله إلى الحرم بأن يذبح هناك...»(٦٢).

٩٧ - ﴿**جعلَ اللهُ الكعبةَ البيتَ الحرامَ قِيامًا للنّاسِ والشهرَ الحرامَ والهديَ والقلائد**﴾: ﴿**قيامًا للناس**﴾ أي: فيها قوام معيشتهم ودينهم ومدارهما، أي: ما يصلح دينهم ودنياهم(٦٣).

١٠٥ - ﴿**يا أيُّها الذينَ آمنوا عليكمْ أنفسَكُمْ لا يضرُّكم من ضلَّ إذا اهْتدَيْتُم...**﴾ الآية: هذه الآية الكريمة تأمر المؤمن أن يلزم العمل بطاعة الله تعالى، ثم لا يضرّه بعد ذلك ضلال الضّالين، وليعلم أنّ من طاعة الله تعالى: الأمر بالمعروف، والنهي عن المُنكر، فإذا أدّى ما عليه من ذلك؛ أي: أصلح نفسه ونصح غيره، فإنه لا يضرّه تمادي الضّال في ضلاله(٦٤).

١٠٨ - ﴿**ذلكَ أدنى أنْ يأتوا بالشهادةِ على وَجْهِها أو يخافوا أنْ تُرَدَّ أيمانٌ بَعْدَ أيْمانِهِم**﴾: معنى ﴿**تُرَدّ...**﴾ أي: تُرَجَّع الأيمان إلى ورثة الموصي بعد أيمان الشهيدين، فيفتضحوا بظهور كذبهم(٦٥).

١٠٩ - ﴿**يومَ يجمعُ اللهُ الرسلَ فيقولُ ماذا أُجِبْتُمْ قالوا لا علمَ لنا**﴾: قد يسأل سائلٌ فيقول: كيف يقولون: لا علم لنا وقد علموا بما أجيبوا، والجواب على هذا: أنّ للعلماء في توجيه هذه الآية أكثر من رأي، نذكر بعضها:

الأول: لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكلِّ شيء، فنحن وإنْ كنّا أجبنا وعرفنا من أجابنا، ولكن منهم من كنا نطّلع على ظاهره، لا علم لنا بباطنه،

وأنت العليم بكلِّ شيء، المطّلع على كلِّ شيء، فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلا علم، فإنّك ﴿**أنت علاّم الغيوب**﴾(٦٦).

الثاني : قالوا ذلك من هول ذلك اليوم؛ أي إنهم ذهلوا عن الجواب، وهو قولُ مجاهد، والحسن البصري والسدي(٦٧).

الثالث : أن الرسل عليهم الصلاة والسلام قد علموا أن الغرض من السؤال هو توبيخ أعدائهم، فوَكّلوا الأمر إلى علمه تعالى وإحاطته بما ابتلوا به منهم، وكابدوا من سوء إجابتهم إظهارًا للتشكّي واللجوء إلى ربهم في الانتقام منهم(٦٨).

وقيل غير ذلك.

١١٠ - ﴿**تُكَلِّمُ الناسَ في المهدِ وكَهْلا**﴾: ﴿**وكهلا**﴾؛ لأنّ تكليم الكهل الناسَ ليس أمرًا عجيبًا، ولذا ذهب بعض العلماء إلى أنّ المعنى تدعو إلى الله الناسَ في صغرك وكبرك، وضمن تلكم تدعو(٦٩).

وذهب الطبري إلى أنّ المعنى: أنّ اللهَ تعالى أيَّدَ عيسى عليه السلام بروح القدس صغيرًا في المهد، وكهلاً كبيرًا(٧٠).

أمّا الزمخشري فيرى أنّ المراد: أن كلامك في صغرك وكبرك لا يتفاوت(٧١).

وليس بين هذه الأقوال تضادٌّ بحمد الله تعالى.

١١٦ - ﴿**وإذْ قالَ اللهُ يا عيسى ابنَ مريمَ أأنتَ قلتَ للناسِ اتخذوني وأُميَ إلهينِ مِنْ دونِ الله...**﴾: الجمهور على أنّ هذا السؤال إنّما يكون يوم القيامة، وإنما عبّر جلّ جلاله بـ ﴿**قال**﴾ وهو فعلٌ ماض للدلالة على تحقّق وقوعه(٧٢).

وذهب السدي إلى أنّ ذلك قد وقع حين رفعه الله تعالى إلى السماء(٧٣).

سورة الأنعام

٥ - ﴿**فقدْ كذّبوا بالحقّ لمّا جاءَهمْ فسوفَ يأتيهمْ أنباءُ ما كانوا به يستهزؤون**﴾: النبأ: أي الخبر العظيم، والمقصود به هنا يوم القيامة، وهذا الخبر قد علم به من قبل، والمراد به في هذه الآية الكريمة تحقيق مضمونه، وهو العذاب...(٧٤).

٧ - ﴿**ولَوْ نَزّلْنا عليكَ كتابًا في قِرطاس...**﴾: القرطاس هو: الورق، فما معنى كتابًا في ورق، المراد بـ ﴿**كتابًا**﴾ هنا: كلامًا مكتوبًا في ورق(٧٥).

٨ - ﴿**وقالوا لولا أُنزل عليهِ مَلَك...**﴾: الله تعالى قد أنزلَ جبريل عليه السلام وهو ملك، فما المراد بهذه الآية، المراد بها: أن المشركين طلبوا إنزال ملك يشاهدونه ويخاطبهم ويخاطبونه ويشهد لمحمد ﷺ أنّه نبيّ(٧٦).

٢٣ - ﴿**ثمَّ لم تكن فِتنتُهمْ إلاّ أنْ قالوا...**﴾: قال الطبري رحمه الله تعالى: «ثمَّ لم يكن قولهم عند فتنتنا إيّاهم اعتذارًا عمّا سلف منهم من الشرك بالله ﴿**إلاّ أنْ قالوا...**﴾، فوضعت الفتنة موضع القول؛ لمعرفة السامعين معنى الكلام، وإنّما الفتنة: الاختيار والابتلاء، ولكن لمّا كان الجواب من القوم غير واقعٍ هنالك إلاّ عند الاختبار، وضعت الفتنة التي هي الاختبار موضع الخبر عن جوابهم ومعذرتهم(٧٧).

٥٤ - ﴿**وإذا جاءكَ الذينَ يؤمنونَ بآياتنا فقلْ سلامٌ عليكمْ كتبَ ربُّكمْ على نفسِهِ الرحمةَ أنَّهُ مَن عَمِلَ منكمْ سُوءًا بجهالةٍ ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ...**﴾: ﴿**بجهالة**﴾ فيه معنيان: أحدهما: أنه فاعل فعل الجهلة؛ لأنّ من عمل ما يؤدّي إلى الضرر في العاقبة وهو عالمٌ بذلك أو ظانّ، فهو من أهل السَّفه والجهل، لا من أهل الحكمة والتدبير...

والثاني : أنه جاهلٌ بما يتعلّق به من المكروه والمضرّة...»(٧٨).

٦٠ - ﴿**وَهُوَ الذي يَتوفّاكُم بالليلِ، ويَعْلَمُ ما جَرَحْتُم بالنّهار**﴾: قال أبو حيّان رحمه الله تعالى: «التوفي عبارة في العرف عن الموت، وهنا المعنيُّ به النوم...»(٧٩).

ما ظهر لفظه وخفي معناه من كتاب الله

- ﴿جَرَحْتُم﴾: أي: كسبتم(٨٠).

٦٧ - ﴿لِكلِّ نبأ مُسْتقَر﴾: أي: «لكلِّ خبرٍ وقوع»(٨١).

٧٠ - ﴿وإنْ تَعْدِلْ كلَّ عَدْل لا يؤخَذْ منها﴾: أي: وإن تفدِ نفسها بكلِّ فداءٍ لا يقبل منها(٨٢).

٨٢ - ﴿الذين آمنوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إيمانَهم بِظلم أولئكَ لهمُ الأمنُ وهم مهتدون﴾: المراد بالظلم في هذه الآية الشرك، فقد أخرج الإمام البخاري رحمه الله تعالى بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «لما نزلت هذه الآية: ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ شقّ ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وقالوا: أيُّنا لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله ﷺ: إنه ليس بذاك، ألا تسمعُ إلى قول لقمان لابنه: ﴿إنَّ الشركَ لظلمٌ عظيم﴾»(٨٣).

١٠٠ - ﴿وجعلوا للهِ شركاءَ الجنَّ وخَلَقَهُمْ وخَرَقُوا لَهُ بنينَ وبناتٍ بغيرِ علم﴾: ﴿خرقوا﴾ أي: اختلقوا(٨٤).

١٢٥ - ﴿... كذلك يجعلُ اللهُ الرجسَ على الذينَ لا يُؤمِنون﴾: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عبّاس رضي الله عنهما: ﴿الرجس﴾: الشيطان، فيكون المعنى: كذلك يسلّط الله الشيطانَ على الذين لا يؤمنون.

وقال مجاهد: ﴿الرجس﴾: كلّ ما لا خيرَ فيه.

وقال ابن زيد: ﴿الرجس﴾: العذاب(٨٥).

١٢٨ - ﴿يا مَعْشَرَ الجِنّ قَدِ اسْتكْثَرْتُم منَ الإنس﴾: أي: استكثرتم من إغوائهم وإضلالهم(٨٦).

١٣٠ - ﴿يا معشر الجِنّ والإنسِ ألَمْ يأتِكُمْ رسلٌ منكم...﴾: «أي: من جملتكم، والرسل من الإنس فقط، وليس من الجن رسل، كما نصّ على ذلك مجاهد وابن جريج، وغير واحدٍ من الأئمة من السلف والخلف، وقال ابن عباس: الرسل من بني آدم، ومن الجن نذر»(٨٧).

١٤٢ - ﴿وَمن الأنعام حَمُولةً وفَرْشا﴾: (الفرش) صفة لما لطف جرمُه من الأنعام فقرب من الأرض(٨٨).

١٤٥ - ﴿قُل لا أجِدُ فيما أُوحِيَ إليَّ مُحَرَّمًا على طاعمٍ يَطْعَمُهُ إلاَّ أنْ يكونَ مَيْتَةً...﴾ الآية: «اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في هذا الحصر المذكور في هذه الآية، مع أنَّ ثمَّة محرمات لم تذكر فيها، كالسباع، وكلّ ذي مخلب من الطير ونحو ذلك. فقال بعضهم: إنّ هذه الآية نازلة قبل تحريم ما زاد على ما ذكر فيها فلا ينافي هذا الحصر المذكور فيها التحريم المتأخر بعد ذلك؛ لأنه لم يجده فيما أوحي إليه في ذلك الوقت.

وقال بعضهم: إنّ هذه الآية مشتملة على سائر المحرمات، بعضها صريحًا، وبعضها يؤخذ من المعنى وعموم العلّة...»(٨٩).

- ﴿أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لغيرِ الله﴾: المراد بـ ﴿فسقًا﴾ المذبوح للأوثان، سمّاه تعالى (فسقًا) لتوغله في باب الفسق(٩٠).

١٥٠ - ﴿فإنْ شَهِدوا فلا تَشْهَدْ مَعَهُم﴾: معنى ﴿لا تشهد معهم﴾: «لا تتابعهم على ما هم عليه من التكذيب بوحي الله وتنزيله...»؛ لأنه إذا تابعهم وسلّم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم...

قال الطبري رحمه الله تعالى: «وخاطب بذلك جلّ ثناؤه نبيّه ﷺ، والمراد به أصحابه والمؤمنون به»(٩١).

١٥٤ - ﴿ثُمَّ آتينا موسى الكتاب﴾: «(ثم) في كلام العرب [كما هو معروف] حرفٌ يدلّ على أنّ ما بعده من الكلام والخبر بعد الذي قبلها»، وقصة موسى عليه السلام وإيتائه الكتاب قبل المعطوف عليه، وهو ما تقدّم من قوله: ﴿ذلكم وصّاكم به﴾، وللعلماء في توجيه ذلك أقوالٌ منها:

- ثمّ قل بعد ذلك يا محمد: آتى ربك موسى الكتاب، فترك ذكر (قل)؛ إذ كان قد تقدّم في أوّل القصة ما يدل على أنه مرادٌ فيها، وذلك قوله تعالى:

﴿**قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربكم عليكم**﴾، فقصّ ما حرّم عليهم وأحلّ، ثم قل ﴿**آتينا موسى**﴾...» وهذا قول الطبري(٩٢).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «وفي هذا نظر، و(ثم) هنا إنما هي لعطف الخبر بعد الخبر لا للترتيب... لما أخبر الله سبحانه عن القرآن بقوله: ﴿**وأنَّ هذا صراطي مستقيمًا فاتّبعوه**﴾ عطف بمدح التوراة ورسولها، فقال: ﴿**ثمَّ آتينا موسى الكتاب**﴾، وكثيرًا ما يقرن سبحانه بين ذكر القرآن والتوراة»(٩٣)، وهذا قول الفرّاء(٩٤)، وتعقبه ابن عصفور(٩٥) بأنه ليس بشيء؛ لأن (ثمّ) تقتضي تأخّر الثاني عن الأول بمهلة، ولا مهلة في الإخبارين، فلا بدّ من الرجوع إلى أنها انسلخ عنها معنى الترتيب، أو أنه ترتيب رتبي(٩٦). وقد رجّح هذا الأخير ابن عاشور(٩٧). وقد ذهب أبو حيّان رحمه الله تعالى إلى أنّ (ثمّ) هنا استعملت للعطف كالواو من غير اعتبار مهلة(٩٨) والله تعالى أعلم بمراده.

١٥٨ - ﴿**... يومَ يأتي بعضُ آياتِ رَبِّكَ لا ينفعُ نَفْسًا إيمانُها لَمْ تكنْ آمنتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ في إيمانِها خيرًا**﴾: قسمت الآية النفوس إلى قسمين: قسمٌ لم يؤمن حتى أتت بعض آيات الله تعالى، وقسمٌ آمن، ولكنه لم يكتسب خيرًا حتى أتت بعض الآيات، والذي يعنينا هنا هو القسم الأخير، فظاهر الآية يدلّ على أنّ الذي اقتصر على الإيمان وفرّط في عمل الخير فإنّ إيمانه لا ينفعه، وهذا غير مراد، والمعنى - كما يقول الإمام - الطبري رحمه الله تعالى: «لا ينفع من كان بالله وبرسله مصدّقًا، ولفرائض الله مضيعًا غير مكتسب بجوارحه لله طاعة، إذا هي طلعت من مغربها [يعني الشمس]، أعمالُه إن عمل، وكسبه إن اكتسب؛ لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك(٩٩).

فالمعنى إذًا: لا ينفع إيمان الكافر ولا ما يعمله المؤمن من الصالحات إذا أتت بعض آيات الله تعالى.

١٦٣ - ﴿**... وبذلك أُمرْتُ وأنا أوّلُ المسلمين**﴾: «قال قتادة: من هذه الأمة. وهو كما قال: فإنّ جميع الأنبياء قبله كلهم كانت دعوتهم إلى الإسلام، وأصله عبادة الله وحده لا شريك له»(١٠٠).

سورة الأعراف

٢١ - ﴿**وَقاسَمَهُما إني لكما لَمِنَ الناصحين**﴾: أي: حلف لهما(١٠١)، ولمّا كان منه القَسَم، ومنهما القبول، جيء به على زنة المفاعلة(١٠٢).

٢٢ - ﴿**فَدَلاّهما بغُرور**﴾: «أي: استنزلهما إلى الأكل من الشجرة بغروره؛ أي: بخداعه إياهما... جعل من يغترّ بالكلام حتى يصدق فيقع في مصيبة بالذي يدلى من علوّ إلى أسفل بحبلٍ ضعيف فينقطع به فيهلك...»(١٠٣).

٢٦ - ﴿**يا بَني آدمَ قدْ أَنزلنا عليكمْ لِباسًا يُوارِي سَوْءاتِكُمْ وَرِيشًا...**﴾: معنى ﴿**أنزلنا عليكم**﴾: خلقنا لكم(١٠٤).

وقال الزمخشري رحمه الله تعالى: «جعل ما في الأرض مُنزلاً من السماء؛ لأنه قضى ثَمَّ وكتب»(١٠٥).

- ﴿**وريشا**﴾ «يعني: مالاً في قول ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والسدي، فقال: تَرَيّش الرجل إذا تموّل، وقيل: الريش الجمال؛ أي: ما يتجملون به من الثياب...»(١٠٦).

٢٩ - ﴿**وأقيموا وُجُوهَكُمْ عندَ كلّ مَسْجِد**﴾: فيه أقوال:

الأول : إذا حضرت الصلاة وأنتم في مسجد، فصلّوا فيه، ولا يقولنّ أحدُكم: أُصلّي في مسجدي. قاله ابن عباس، والضحّاك، واختاره ابن قتيبة.

الثاني : توجهوا حيث كنتم في الصلاة إلى الكعبة، قاله مجاهد، والسدي، وابن زيد.

الثالث : اجعلوا سجودكم خالصًا لله تعالى دون غيره. قاله الربيع بن أنس، ورجّحه الطبري.

ما ظهر لفظه وخفي معناه من كتاب الله

الرابع : اقصدوا المسجد في وقت كلِّ صلاة، أمرًا بالجماعة لها...(١٠٧).

٣٥ – ﴿**يا بَني آدمَ إمّا يأْتِيَنّكمْ رسُلٌ مِنكم...**﴾: يعني: إن يأتكم...(١٠٨).

٣٧ – ﴿**فَمَنْ أَظلمُ مِمَّنِ افترى على اللهِ كذبًا أَوْ كَذَّبَ بآياتِهِ أُولئكَ يَنالُهمْ نَصِيبُهُم مِنَ الكتاب**﴾: المراد بـ ﴿**من الكتاب**﴾: مما كتب لهم(١٠٩).

٥١ – ﴿**... فاليومَ نَنْسَاهُمْ كما نَسُوا لقاءَ يومِهِمْ هذا...**﴾: النسيان في الموضعين بمعنى الترك، والمراد: فاليوم نتركهم في العذاب كما تركوا العمل ليوم القيامة(١١٠).

٥٢ – ٥٣ : ﴿**وَلَقَدْ جئناهم بكتابٍ فَصَّلْناه على علمٍ هدىً ورحمةً لقومٍ يؤمنون، هَلْ ينظرون إلاّ تأويله...**﴾: المراد بـ ﴿**تأويله**﴾ «ما يؤول إليه أمرهم، من ورودهم على عذاب الله...»(١١١).

٨٤ – ﴿**وأَمْطَرنا عليهم مَطرًا**﴾: أي: مطرًا من حجارةٍ من سجّيل كما قال تعالى: ﴿**وأمطرنا عليها حجارةً من سجيل منضود مسوّمة عند ربّك...**﴾(١١٢).

٨٨ – ٨٩ : ﴿**قالَ الملأُ الذينَ استكبروا مِن قومِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يا شُعيبُ والذين آمنوا مَعَكَ مِنْ قريتنا أو لَتعُودُنَّ في مِلَّتِنا. قالَ أَوَلَوْا كُنَّا كارهين. قد افترينا على اللهِ كَذِبًا إنْ عُدْنا في مِلَّتِكُمْ بعدَ إذْ نجّانا اللهُ منها وما يكون لنا أنْ نعودَ فيها إلاّ أن يشاءَ اللهُ ربُّنا...**﴾: قال البغوي رحمه الله تعالى: «فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿**أو لتعودُنّ في ملّتنا**﴾ ، ﴿**وما يكونُ لنا أن نعودَ فيها**﴾(١١٣)، ولم يكن شعيب قطّ على ملتهم حتى يصحّ قولهم: ترجع إلى ملتنا؟

قيل: معناه: أو لتدخُلنَّ في ملتنا، فقال: وما كان لنا أن ندخل فيها.

وقيل: معناه: إن صرنا في ملتكم. ومعنى عاد: صار.

وقيل: أراد به قومَ شعيب؛ لأنهم كانوا كُفّارًا فآمنوا، فأجاب شعيب عنهم»(١١٤).

– ﴿**رَبَّنا افْتحْ بيننا وبينَ قومِنا بالحقِّ وأنتَ خيرُ الفاتحين**﴾: أي: احكم بيننا... وأنت خيرُ الحاكمين(١١٥).

٩٥ – ﴿**ثُمَّ بَدَّلْنا مكانَ السيّئةِ الحسنة**﴾: ﴿**السيّئة**﴾: البأساء والضّرّاءَ و﴿**الحسنة**﴾: الرخاء والنعمة والسعة في المعيشة(١١٦).

– ﴿**حَتَّى عَفَوا**﴾ يعني: حتّى كَثُروا(١١٧).

١٠٠ – ﴿**أَوَلَمْ يَهْدِ للذينَ يَرِثُونَ الأَرضَ مِنْ بعدِ أَهْلِها أَنْ لو نشاءُ أَصَبْناهُمْ بذنوبهم...**﴾: ﴿(**يَهْد**﴾ أي: يتبيّن(١١٨).

١٣٠ – ﴿**ولقد أخذنا آلَ فرعونَ بالسّنين**﴾: أي: أخذناهم بالقحط(١١٩).

١٤٠ – ﴿**قالَ أَغيرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إلهًا وهو فضّلكم على العالمين**﴾: أي: «على عالمي دهركم وزمانكم»(١٢٠).

١٤٣ – ﴿**فلمّا أفاقَ قالَ سبحانكَ تبتُ إليكَ وأنا أوّلُ المؤمنين**﴾: أخرج الطبري بسنده عن أبي العالية أنه قال في هذه الآية: «كان قبله مؤمنون، ولكن يقول: أنا أوّل من آمن بأنه لا يراك أحدٌ من خلقك إلى يوم القيامة»(١٢١).

١٤٥ – ﴿**فَخُذْها بقوّةٍ وأْمُرْ قومَكَ يأخذوا بأحْسَنِها**﴾: قد يسأل سائل، إذا كانوا مأمورين بأن يأخذوا بأحسن ما في شريعتهم، فهل لهم أن يتركوا حسنها؟ وقد أجاب العلماء عن هذا السؤال بأجوبة،

منها: أن أحسن هنا مسلوب المفاضلة؛ إذ كلها حسنة وجِيءَ بلفظة أحسن للمبالغة في الحسن.

وقيل: أحسنها: الفرائض والنوافل، وهي ما يستحقّ عليها الثواب، وما دونها المباح؛ لأنه لا يستحقّ عليه الثواب.

وقيل: ﴿**بأحسنها**﴾: بأحسن الأمرين في كلّ شيء كالعفو أحسن من القصاص، والصبر أحسن من الانتصار(١٢٢).

١٥٠ - ﴿**قالَ ابنَ أُمَّ إنَّ القومَ اسْتضْعَفُوني...**﴾: هارون عليه السلام شقيق موسى عليه السلام، ولكنه عبّر بهذا التعبير استعطافًا، وليكون أرقّ عليه(١٢٣).

١٦٥ - ﴿**فلمّا نَسُوا ما ذُكّروا بِه**﴾ : أي: تركوا...(١٢٤).

١٦٨ - ﴿**وَبَلَوْناهُمْ بالحَسَناتِ والسَّيّئات**﴾: أي: واختبرناهم بالرخاء في العيش، والشدّة فيه...(١٢٥).

١٧٦ - ﴿... **فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكلبِ إنْ تحملْ عليهِ يَلْهَث**﴾: معنى ﴿**تحمل عليه**﴾ تزجره وتطرده(١٢٦).

١٨٩ - ﴿... **فلمّا تغشّاها حَمَلَتْ حَمْلاً خفيفًا فَمَرَّتْ به**﴾: ﴿**فَمَرَّت به**﴾ يعني: استمرت به(١٢٧). قال ابن عاشور: «وحقيقة المرور: الاجتياز، ويُستعار للتغافل وعدم الاكتراث للشيء، كقوله تعالى: ﴿**فلمّا كشفنا عنه ضرّه مرَّ كأنْ لم يدعنا إلى ضُرٍّ مسَّه**﴾(١٢٨)، أي: نسي دعاءنا، وأعرض عن شكرنا؛ لأنّ المارّ بالشيء لا يقف عنده ولا يسائله... بمعنى ﴿**فمرّت به**﴾ لم تتفطن له، ولم تفكر في شأنه، وكلّ هذا حكاية للواقع»(١٢٩).

- ﴿**فلمّا أثْقَلَتْ دَعَوَا اللهَ ربَّهُما لَئِن آتيتنا صالحًا لنكونَنَّ مِنَ الشاكرين**﴾: ﴿**صالحًا**﴾ أي: بشرًا سويًّا سليمًا. هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وإليه ذهب أكثر المفسّرين(١٣٠).

وذهب الحسن وقتادة إلى أنّ المراد بـ ﴿**صالحًا**﴾ غلامًا(١٣١).

أمّا الإمام الطبري رحمه الله تعالى فقد ذهب إلى أنّ جميع معاني الصلاح مرادة هنا، ويعني بذلك استواء الخلق وصلاح الدين وصلاح العقل، ولم يذكر وهو يعدّد أقوال العلماء من قال بأنّ المراد بالصلاح هنا الدين، وكيف يكون المراد الصلاح في الدين، والله تعالى يقول: ﴿**فلمّا آتاهما صالحًا جعلا له شركاء**﴾، إذ لو كانت بغيتها صلاح الدين لَمَا جعلا لله شركاء فيما آتاهما. والله تعالى أعلم.

٢٠١ - ٢٠٢ : ﴿**إنَّ الذين اتَّقَوا إذا مَسَّهُمْ طائفٌ مِنَ الشيطانِ تذكّروا فإذا هم مُبْصِرون. وإخوانُهُمْ يَمُدُّوْنَهُمْ في الغَيِّ ثمَّ لا يُقْصِرون**﴾: الإشكال هنا في ضمير ﴿**وإخوانهم**﴾؛ إذ لا يصحّ أن يعود إلى المذكور قبله قريبًا؛ لأنّ الذي ذكر قبله ﴿**الذين اتقوا**﴾، فلا يصحّ أن يكون الخبر، وهو ﴿**يمدونهم في الغي**﴾ متعلقًا بضمير يعود إلى المتقين...(١٣٢)، والذي يعنينا هو المعنى وهو: «وإخوان الشياطين تمدهم الشياطينُ في الغَيّ»(١٣٣).

٢٠٣ - ﴿**وإذا لَمْ تأتِهم بآيةٍ قالوا لولا اجْتَبَيْتها**﴾: قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «في قوله: ﴿**لولا اجتبيتها**﴾ قولان:

أحدهما: هلاّ افتعلتها من تلقاء نفسك. قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد، والفراء، والزجّاج، وابن قتيبة في آخرين. وحكي عن الفراء أنه قال: «العرب تقول: اجتبيت الكلام، واختلقته، وارتجلته: إذا افتعلته من تلقاء نفسك.

والثاني: هلاّ طلبتها لنا قبل مسألتك؟ ذكره الماورديّ، والأوّل أصحّ»(١٣٤). ●

ما ظهر لفظه وخفي معناه من كتاب الله

الحواشي

١ – ينظر التحرير والتنوير: ٤/٢٢٠. وجامع البيان: ٣/٥٧٠، وتفسير القرآن العظيم: ١/٥٨٦.

٢ – ينظر جامع البيان: ٣/٥٩٠ – ٥٩١، وتفسير القرآن العظيم: ١/٥٩٠.

٣ – تفسير القرآن العظيم: ١/٥٩٥ بتصرّف. وينظر جامع البيان: ٣/٦١٤.

٤ – التحرير والتنوير: ٤/٢٥٣.

٥ – جامع البيان: ٣/٦٢٠، وأما ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من أنه قال لعثمان رضي الله عنه: «الأخوان في لسان قومك وكلام قومك ليسا بإخوة...». ففي صحته نظر: يراجع تفسير القرآن العظيم: ١/٥٩٩ فإنّ فيه كلامًا نفيسًا في ردّ هذا الأثر.

٦ – ينظر المصدر السابق: ١/٥٩٩.

٧ – ينظر جامع البيان: ٣/٦٢٨، وتفسير القرآن العظيم: ١/٦٠٠.

٨ – ينظر جامع البيان: ٣/٦٣٣.

٩ – ينظر المصدر السابق: ٣/٦٤٠ وما بعدها، وتفسير القرآن العظيم: ١/٦٠٤، وفتح القدير: ١/٤٧٩.

١٠ – جامع البيان: ٣/٦٤٠.

١١ – ينظر المصدر السابق: ٣/ ٦٤٣ – ٦٤٤، وتفسير القرآن العظيم: ١/٦٠٤.

١٢ – الكشاف: ١/٥٢٢، وينظر جامع البيان: ٣/ ٦٤٦ – ٦٤٧.

١٣ – جامع البيان: ٤/٢٠.

١٤ – فتح القدير: ١/٤٩٢.

١٥ – جامع البيان: ٤/٢١، والكشاف: ١/٦٢٠.

١٦ – جامع البيان: ٤/٣٣، وينظر تفسير القرآن العظيم: ١/٦٢٦.

١٧ – جامع البيان: ٤/٣٨.

١٨ – تفسير القرآن العظيم: ١/٦٢٦.

١٩ – التحرير والتنوير: ٥/٢٥ بحذف يسير.

٢٠ – جامع البيان: ٤/٥٢، وينظر تفسير القرآن العظيم: ١/٦٣٨.

٢١ – ينظر المصدران السابقان: ٤/١٢١، ١/٦٦٣.

٢٢ – ينظر جامع البيان: ٤/١٢٧، ومعالم التنزيل: ٢/٢٣٢.

٢٣ – تفسير القرآن العظيم: ١/٦٦٤.

٢٤ – روح المعاني: ٣/٥٤، وينظر التحرير والتنوير: ٥/٨٦.

٢٥ – ينظر جامع البيان: ٤/ ١٤٢ – ١٤٣.

٢٦ – ينظر جامع البيان: ٤/١٥٤، وتفسير القرآن العظيم: ١/٦٧٨.

٢٧ – التحرير والتنوير: ٥/١٠٨.

٢٨ – ينظر جامع البيان: ٤/١٥٩، والتحرير والتنوير: ٥/١٠٨.

٢٩ – ينظر جامع البيان: ٤/١٦٨، وتفسير القرآن العظيم: ١/٦٨٥.

٣٠ – تفسير القرآن العظيم: ١/٦٨٥، وروح المعاني: ٣/٧٨.

٣١ – تيسير الكريم الرحمن: ١٥٢، وينظر تفسير القرآن العظيم: ١/٦٨٦.

٣٢ – ينظر جامع البيان: ٤/١٧٦.

٣٣ – تيسير الكريم الرحمن: ١٦١. وينظر روح المعاني: ٣/١٣٠.

٣٤ – الكشاف: ١/٥٩٥. وينظر روح المعاني: ٣/١٣٤.

٣٥ – إعراب القرآن وبيانه: ٢/٣١٥. وينظر التحرير والتنوير: ٥/١٩٤.

٣٦ – جامع البيان: ٤/٢٧٩.

٣٧ – ينظر تفسير القرآن العظيم: ١/٧٤١.

٣٨ – التحرير والتنوير: ٥/٢٣٦.

٣٩ – ينظر جامع البيان: ٤/٣٤٦، والكشاف: ١/٦١٨.

٤٠ – الكشاف: ١/٦٢٠ بحذفٍ يسير، وينظر تفسير القرآن العظيم: ١/٧٥٠.

٤١ – جامع البيان: ٤/٣٧٨.

٤٢ – المصدر السابق: ٤/٣٨٣.

٤٣ – فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: ١٢٩. وينظر تفسير القرآن العظيم: ٢/١٧.

٤٤ – فتح الرحمن: ١٣٠. وينظر جامع البيان: ٤/٤٢١.

٤٥ – فتح القدير: ٢/١٣.

٤٦ – جامع البيان: ٤/٤٢٧. وينظر تفسير القرآن العظيم: ٢/٢٤.

٤٧ – ينظر جامع البيان: ٤/٤٣٩، وتفسير القرآن العظيم: ٣/٢٧.

٤٨ – ينظر الكشاف: ١/٦٤١، وفتح القدير: ٢/١٦.

٤٩ – تفسير القرآن العظيم: ٢/٤٩. وينظر جامع البيان: ٤/ ٥٠٥ – ٥٠٦، والكشاف: ١/٦٥٢.

٥٠ – تفسير القرآن العظيم: ٢/٥٣.

٥١ – جامع البيان: ٤/٥٤٠. وينظر الكشاف: ١/٦٦٠.

٥٢ – ينظر جامع البيان: ٤/٥٤٠، وفتح القدير: ٢/٣٤، وتيسير الكريم الرحمن: ١٩١.

٥٣ – التحميم: حمّم وجهه: سخّم الوجه بالفحم. القاموس المحيط: (حمم).

٥٤ – صحيح مسلم: ٢٩، كتاب الحدود (٦) باب رجم اليهود... الحديث رقم (١٧٠٠)، وينظر جامع البيان: ٤/٥٧٧، وأسباب النزول للواحدي: ١٣٢.

٥٥ – تفسير القرآن العظيم: ٢/٩١.

٥٦ – فتح القدير: ٤/٤٩ بتصرّف يسير.

٥٧ – تفسير القرآن العظيم: ٢/٩٩.

٥٨ – ينظر الكشاف: ١/٦٨٢، وفتح القدير: ٢/٥٣.

٥٩ – مدارك التنزيل: ٤١١/١.

٦٠ – ينظر تفسير القرآن العظيم: ١٠٧/٢ – ١٠٨، وفتح القدير: ٦١/٢، وروح المعاني: ٣٥٥/٣.

٦١ – تفسير القرآن العظيم: ١١١/٢.

٦٢ – تفسير القرآن العظيم: ١٣٨/٢، والكشاف: ٧١٢/١.

٦٣ – مدارك التنزيل: ٤٢٥/١، وينظر الكشاف: ٧١٤/١.

٦٤ – ينظر جامع البيان: ١٠٠/٥، والكشاف: ٧١٨/١، وتفسير القرآن العظيم: ١٥١/٢.

٦٥ – ينظر الكشاف: ٧٢١/١، والتحرير والتنوير: ٩٤/٧.

٦٦ – هذا الرأي الذي رجّحه الطبري، واستحسنه ابن كثير، ينظر جامع البيان: ١٢٦/٥، وتفسير القرآن العظيم: ١٥٨/٢.

٦٧ – المصدران السابقان: ١٢٥/٥، ١٥٨/٢.

٦٨ – هذا قول الزمخشري، ينظر الكشاف: ٧٢٢/١.

٦٩ – تفسير القرآن العظيم: ١٥٩/٢.

٧٠ – جامع البيان: ١٢٨/٥.

٧١ – ينظر الكشاف: ٧٢٣/١.

٧٢ – ينظر معالم التنزيل للبغوي: ١٢١/٣، وفيه يقول: «واختلفوا في أنّ هذا القول متى يكون، فقال السدّي... وقال سائر المفسرين...» ثم أخذ يستدل لهذا الرأي، وينظر: البحر المحيط: ٦٣/٤، وتفسير القرآن العظيم: ١٦٦/٢، وفتح القدير: ٩٦/٢.

٧٣ – رجّح الإمام الطبري هذا الرأي، ينظر جامع البيان: ١٣٨/٥، وينظر ردّ الإمام ابن كثير عليه في تفسيره: ١٦٦/٢.

٧٤ – ينظر البحر المحيط: ٧٩/٤، والتحرير والتنوير: ١٣٦/٧.

٧٥ – ينظر الكشاف: ٨/٢، والبحر المحيط: ٨٢/٤.

٧٦ – ينظر جامع البيان: ١٥١/٥، والبحر المحيط: ٨٢/٤، وفتح القدير: ١٠٢/٢.

٧٧ – جامع البيان: ١٦٦/٥، وينظر تفسير القرآن العظيم: ١٧٥/٢.

٧٨ – الكشاف: ٢٩/٢ بحذف يسير، وينظر جامع البيان: ٢٠٦/٥.

٧٩ – البحر المحيط: ١٥٠/٤، وينظر الكشاف: ٣١/٢.

٨٠ – معالم التنزيل: ١٥١/٣، والكشاف: ٣١/٢.

٨١ – تفسير القرآن العظيم: ١٩٦/٢، وينظر جامع البيان: ٢٢٤/٥.

٨٢ – ينظر جامع البيان: ٢٣٠/٥، والكشاف: ٣٥/٢.

٨٣ – صحيح البخاري بشرح فتح الباري – ٦٥ – كتاب التفسير: ٣١، سورة لقمان: ١. باب: (لا تشرك بالله إنّ الشركَ لظلمٌ عظيم): الحديث رقم (٤٧٧٦). وينظر صحيح مسلم بشرح النووي، ١ – كتاب الإيمان: باب صدق الإيمان وإخلاصه، الحديث رقم: ١٩٧.

٨٤ – جامع البيان: ٢٩١/٥، وينظر الكشاف: ٥٠/٢.

٨٥ – جامع البيان: ٣٤١/٥، وتفسير القرآن العظيم: ٢٣٧/٢.

٨٦ – المصدران السابقان: ٣٤٢/٥، ٢٣٧/٢ – ٢٣٨.

٨٧ – تفسير القرآن العظيم: ٢٣٩/٢.

٨٨ – ينظر جامع البيان: ٣٧٤/٥، والكشاف: ٦٩/٢، وتفسير القرآن العظيم: ٢٤٦/٢.

٨٩ – تيسير الكريم الرحمن: ٢٤٠، وينظر في تفصيل المحرمات: معالم التنزيل: ١٩٨/٣ – ١٩٩، والبحر المحيط: ٢٤٣/٤ – ٢٤٤.

٩٠ – ينظر الكشاف: ٧٠/٢، والبحر المحيط: ٢٤٥/٤.

٩١ – جامع البيان: ٣٨٩/٥. وينظر لما سبق المصدر السابق، والكشاف: ٧٤/٢، والبحر المحيط: ٢٤٩/٤.

٩٢ – جامع البيان: ٣٩٨/٥.

٩٣ – تفسير القرآن العظيم: ٢٥٨/٢.

٩٤ – هو يحيى بن زياد بن عبدالله الديلمي، أبو زكريا (– ٢٠٧هـ)، إمام الكوفيين بالنحو واللغة والأدب، عهد إليه المأمون بتربية ابنيه، له: معاني القرآن، وكتاب اللغات، وما تلحن فيه العامة وغيرها كثير. وفيات الأعيان: ٢٢٨/٢.

٩٥ – هو علي بن مؤمن بن محمد، الحضرمي، الإشبيلي، أبو الحسن (– ٦٦٩هـ)، حامل لواء العربية بالأندلس في عصره، له: المقرب في النحو، والممتع في التصريف، وغيرها. شذرات الذهب: ٣٣٠/٥.

٩٦ – روح المعاني: ٣٠٢/٤.

٩٧ – التحرير والتنوير: ١٧٥/٨.

٩٨ – ينظر البحر المحيط: ٢٥٥/٤.

٩٩ – جامع البيان: ٤١٢/٥. وينظر ما قاله الزمخشري إذ تمسّك بظاهر الآية قاصدًا الاستدلال بها على صحة عقيدته في أنّ الكافر والعاصي سواءٌ في الخلود، الكشاف: ٧٨/٢. وينظر لزامًا ردّ ابن المنير في الانتصاف: ٧٨/٢.

١٠٠ – تفسير القرآن العظيم: ٢٦٧/٢، وينظر معالم التنزيل: ٢١١/٣، والبحر المحيط: ٢٦٣/٤.

١٠١ – جامع البيان: ٤٥٠/٥.

١٠٢ – ينظر الكشاف: ٩١/٢.

١٠٣ – البحر المحيط: ٢٨٠/٤، وينظر الكشاف: ٩١/٢.

١٠٤ – ينظر جامع البيان: ٤٥٥/٥، ومعالم التنزيل: ٢٢١/٣، وفتح القدير: ١٩٨/٢.

١٠٥ – الكشاف: ٩٣/٢.

١٠٦ – معالم التنزيل: ٢٢٢/٣، وينظر جامع البيان: ٤٥٧/٥.

١٠٧ – زاد المسير: ١٤٢، وينظر جامع البيان: ٤٦٤/٥ – ٤٦٥، ومعالم التنزيل: ٢٢٣/٣، وتفسير غريب القرآن: ١٧٦.

١٠٨ – ينظر جامع البيان: ٤٧٧/٥، والكشاف: ٩٧/٢.

١٠٩ – جامع البيان: ٤٧٨/٥، ومعالم التنزيل: ٢٢٧/٣، والكشاف: ٩٨/٢.

١١٠ – ينظر جامع البيان: ٥/٥١٠.

١١١ – ينظر المصدر السابق: ٥/٥١١، وتفسير القرآن العظيم: ٢/٣٩٥.

١١٢ – هود: ٨٢ – ٨٣.

١١٣ – ينظر جامع البيان: ٥/٢٤٢، وتفسير القرآن العظيم: ٢/٣٠٩.

١١٤ – معالم التنزيل: ٣/ ٢٥٧ – ٢٥٨، وينظر الكشاف: ٢/١٢٢.

١١٥ – ينظر جامع البيان: ٦/٤.

١١٦ – ينظر المصدر السابق: ٦/٨.

١١٧ – ينظر المصدر السابق: ٦/٨، والكشاف: ٢/١٢٥.

١١٨ – ينظر المصدران السابقان: ٦/١١، ٢/١٢٣، وتفسير القرآن العظيم: ٢/٣١٣.

١١٩ – تنظر المصادر السابقة: ٦/٢٩، ٢/١٢٥، ٢/٣٢٠.

١٢٠ – جامع البيان: ٥/٤٧.

١٢١ – المصدر السابق: ٥/٥٥.

١٢٢ – ينظر معالم التنزيل: ٣/٢٨١، والتحرير والتنوير: ٩/١٠١.

١٢٣ – ينظر جامع البيان: ٦/٦٩، والكشاف: ٢/١٥٣.

١٢٤ – ينظر المصدران السابقان: ٦/١٠٠، ٢/١٦١.

١٢٥ – ينظر جامع البيان: ٦/١٠٤.

١٢٦ – ينظر المصدر السابق: ٦/١٢٧، والكشاف: ٢/١٦٨.

١٢٧ – ينظر جامع البيان: ٦/١٤٢، وتفسير القرآن العظيم: ٢/٣٦٤.

١٢٨ – يونس : ١٢.

١٢٩ – التحرير والتنوير: ٩/٢١٢ بتصرف يسير.

١٣٠ – ينظر معالم التنزيل: ٣/٣١١، والكشاف: ٢/٢٣٠، وزاد المسير: ٣/٢٣٠، ذكر هذا القول والذي يليه فقط. وينظر تفسير القرآن العظيم: ٣٦٤، وروح المعاني: ٥/١٣٠.

١٣١ – زاد المسير: ٣/٢٣٠، وينظر جامع البيان: ٦/١٤٣، وذهب ابن عاشور إلى أنّ (صالحًا) وصف جرى على موصوف محذوف، وظاهر التذكير أن المحذوف تقديره: (ذكرًا)... وأن معنى (صالحًا) نافعًا، ينظر التحرير والتنوير: ٩/٢١٣.

١٣٢ – ينظر المصدر السابق: ٩/٢٣٤.

١٣٣ – جامع البيان: ٦/١٥٧، وينظر تفسير القرآن العظيم: ٢/٣٧٠.

١٣٤ – زاد المسير: ٣/٢٣٧، وينظر جامع البيان: ٦/ ١٥٩ – ١٦٠، والكشاف: ٢/١٨١، وتفسير القرآن العظيم: ٢/٣٧١.

المصادر والمراجع:

الألوسي : السيد محمود.

– روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.

البغوي : أبو محمد الحسين بن مسعود.

– معالم التنزيل: حققه وخرّج أحاديثه: محمد عبدالله النمر، وعثمان ضميرية، وسليمان الحرش، ط٤، دار طيبة، الرياض، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

ابن الجوزي : عبد الرحمن بن علي.

– زاد المسير في علم التفسير، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.

أبو حيّان : محمد بن يوسف الأندلسي.

– البحر المحيط، دراسة وتحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ = ١٩١٣م.

الزَّمخشريّ : محمود بن عمر.

– الكشّاف، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.

السّعدي : عبد الرحمن بن ناصر.

– تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

الشّوكانيّ : محمد بن علي.

– فتح القدير، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ = ١٩٩٨م.

الطّبريّ : محمد بن جرير.

– جامع البيان في تأويل القرآن، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.

ابن عاشور : محمد الطاهر.

– التّحْرير والتنوير، الدّار التُّونسيّة للنشر، د.ت.

ابن قتيبة : أبو محمد عبدالله بن مسلم.

– تفسير غريب القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٣٩٨هـ = ١٩٧٨م.

ابن كثير : إسماعيل القرشي الدمشقي.

– تفسير القرآن العظيم، ط٤، مؤسسة الريّان، بيروت – لبنان، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م.

النسفي : عبد الله بن أحمد.

– مدارك التنزيل وحقائق التأويل، قدّم له الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، دار القلم، بيروت، د.ت.

الواحدي : أبو الحسن علي بن أحمد.

– أسباب النزول، تحقيق طارق الطنطاوي، مكتبة القرآن، القاهرة، د.ت.